﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ [نوح: 26 - 28]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد أن أخبرَ اللّهُ تَعالى عن إغراق القوم الضّالّين؛ أتبَعَهُ بذِكْرِ ما قالَهُ نوحٌ ﷺ مِن دعوَةٍ لربِّهِ عَقِبَ علمِه بحُلول العذابِ ودُنوِّ أجَلِهم؛ استِنجازًا لوعدِ اللّه تعالى، وتصريحًا بمُرادِهِ مِن استِئصالِهم[1].

بعدَ الإخبارِ عَن حلولِ العذابِ دعاءٌ بتمامِ الاستِئصالِ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دَيَّارًا﴾: (دور) أصل يدلُّ على إحداق الشَّيء بالشَّيء من حواليه[2]، والدّار: المنزِلُ اعتبارًا بدَورانِها الَّذي لها بالحائط، وقولهم: ما بها دَيّار، أي: ساكن[3]، ويُقالُ: ما بها دَيّارٌ، أي: أحَدٌ، وهو فَيْعالٌ من دُرْتُ، وأصله ديوار، فالواوُ قُلِبَت ياءً، وأُدْغِمَت، مثل: أيّام وقَيّام[4]، وهو من الأسماء الَّتي لا تُستعمَل إلّا في النَّفي العام، يُقالُ: ما بالدّار ديّار، أي: ليس بها أحد البتَّة، ومعناها هنا: مَن يَحُلُّ بدارِ القومِ كنايةً عن إنسانٍ، وأمّا المُرادُ؛ فلا تذر منهم أحدًا أصلًا، بلِ اقطعْ دابرهم جميعًا[5].

و(الدَّيّار) في قولِهِ تعالى: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، أي: مَن يدورُ في الأرضِ، ويَمْشي[6].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 456.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دور).
(3) الراغب، المفردات: (دار).
(4) الجوهري، الصحاح: (دور).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 213، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 125.
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 546، والسمين، عمدة الحفاظ: (دور).

2) ﴿فَاجِرًا﴾: (فجر) أصله يدلُّ على التَّفتُّح في الشَّيءِ، ومِن ذلك: الفَجْرُ، وهو انفجارُ الظُّلمة عن الصُّبح، واستُعمِلَ للانبعاثِ والتَّفتُّح في المعاصي؛ ولذلك سُمّي الكذبُ فجورًا، ثمَّ كَثُر هذا حتّى سُمّي كلُّ مائلٍ عن الحقِّ فاجرًا[1]، ولمّا كانت المادَّة تدلُّ على شقِّ الشَّيء وتوسعته؛ أُطْلِقَ الفُجور على شقِّ سَتْرِ الدّيانة والحياء[2]، والفجورُ: الفُسوق والكذب[3]، والفاجر في الآية مُرادٌ به: المُتَّصِفُ بالفُجورِ، وهو العَمَلُ الشَّديدُ الفَسادِ[4]، والمراد في الآية الكريمة: المارِقُ ممّا يجبُ الاعتصام به[5].

3) ﴿كَفَّارًا﴾: (كفر) أصلٌ يدُلُّ على السَّتْرِ والتَّغطيةِ، وقد كفرتُ الشَّيءَ أكْفِرُه - بالكسر - كَفْرًا، أي: سَتَرْتُهُ، ومن هنا كان الكفرُ ضِدَّ الإيمان؛ لأنَّه تغطيةٌ للحقِّ[6]، ويأْتي الكُفْرُ بمعنى الإنكارِ والجُحودِ، فيُقال: كَفَرَ بالنِّعْمَةِ، أيْ: أنْكَرَها وجَحَدَها[7]، ورجُلٌ كَفّارٌ، كَشَدّادٍ، وكَفورٌ، كصَبور: كافِرٌ، وقيل: الكَفور: المُبالِغُ في كُفران النِّعمة، قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: 66]، والكَفّارُ أبلغُ من الكَفور، كقَوْلِه تَعالَى: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق: 24][8]، والكَفّارُ في الآية معناه: المُبالِغُ في الكُفْرِ، والجَحود لنِعَم اللّه سبحانه تعالى[9].

والمراد بـ ﴿كَفَّارًا﴾ في الآية الكريمة: نقيضُ المؤمنِ، وهو المُبالِغُ في سَتْرِ ما يجبُ إظهارهُ مِن آياتِ اللّهِ تَعالى[10].

4) ﴿تَبَارًا﴾: أصلُ (تبر) يدلُّ على الكَسْرِ والإهلاك، يُقالُ: تبَّر اللّه عملَ الكافر، أي: أهلكه، وأبطله[11]، والتَّتْبيرُ: التَّدْميرُ، وكلُّ شيءٍ كسَّرْتَهُ، وفَتَّتَّهُ، فقد تَبَّرْتَهُ، ويُقالُ: تَبِرَ الشَّيءُ يَتْبَرُ تَبارًا[12]، ومنه تبر الذَّهب، أي: المُكَسَّر المُفتَّت، وكذلك يُقالُ لِفُتات الرُّخام

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فجر).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (فجر).
(3) الصحاح، الجوهري: (فجر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 214.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 458.
(6) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفردات: (كفر).
(7) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كفر).
(8) الزبيدي، تاج العروس: (كفر).
(9) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 125.
(10) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 458.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (تبر).
(12) ابن منظور، لسان العرب: (تبر).

والزُّجاج: تبر[1]، ابنُ الأعرابي: المَتبورُ الهالكُ، والمَبتورُ النّاقصُ[2]، والتَّبارُ في الآية مراد به: الهَلاكُ والخَسارُ والدَّمارُ[3].

والتِّبْرُ: الفُتاتُ من الذَّهبِ والفضَّة قبل أن يُصاغا، فإذا صيغا؛ فهُما ذهبٌ وفضَّة، ولا يُقال للذَّهبِ: تِبْرٌ حتّى يكون في تُراب معدنِه، أو مكسورًا[4]، والمراد بالتَّبارِ في سورةِ نوحٍ عليه السلام: الهَلاكُ والدَّمارُ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بَعدَ يأس نوح عليه السلام من إيمانِ قومِه؛ دعا ربَّه بألّا يترك من الكافرين به أحدًا حيًّا يدورُ، ويتحرَّك على الأرض؛ فإنَّه تعالى إنْ يَتْرُكْهُم دون إهلاكٍ؛ يُضِلّوا المؤمنين الذين قد آمنوا به عن طريقِ الحقِّ، وإنَّه لا يأتي من أصلابهم وأرحامهم إلّا متابِعٌ لهم مائِلٌ عن الحقِّ شديدُ الكُفْرِ باللهِ تَعالى وعصيانه، ثمَّ يقول في دعائه: ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بَيْتي مؤمنًا، وللمؤمنين والمؤمنات بكَ، ثُمَّ يختِم دُعاءَهُ على الضّالّين: ربِّ لا تزد الكافرين إلّا هلاكًا وخسرانًا في الدُّنيا والآخرة[6].

التَّضرُّع لله تعالى ليرحَمَ المؤمنين، ويُهْلِكَ الكافرينَ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالَةُ عَطْفِ الجُمْلَة:

عُطِفَت الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، على الجملة في قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾؛ لبيانِ يأسِ نوحٍ عليه السلام من اهتِدائهم يأسًا تامًّا؛ تبعًا لِما أخبره به الله تعالى؛ فأتبعَهُ بالدُّعاء عليهم بأن يُهْلِكَهُم

دعاءٌ شامِلٌ بعدَ انقِطاعِ كلِّ أمَلٍ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 211.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (تبر).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 215.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (تبر).
(5) الواحدي، البسيط: 22/ 276.
(6) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 571.

بالاستئصالِ، فلا يُبْقي منهم أحدًا على الأرض، وقد قُرِنَت الآيةُ الكريمة بواو العطف؛ لتكونَ مستقلَّةً، فلا تتبعَ جملةَ: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ للإشارة إلى أنَّ دعوة نوحٍ ﷺ حَصَلَت بعدَ شكايَتِهِ بقولِهِ: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾[1].

دلالَةُ إعادَةِ فِعْلِ (قال):

مناجاةٌ جديدَةٌ ودعـاءٌ وشكوى للمَوْلى

أعاد النَّظمُ الجليلُ فِعْلَ القولِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، دون أن يقول: (ربِّ لا تذَر)؛ ليكونَ هذا القولُ مستقلًّا، فهو ليس من ضِمْنِ المَقولِ الأوَّل، وهذا يُشير إلى أنَّ دعاءَ نوحٍ ﷺ على قومِه بالهلاكِ وقعَ بعد شكواهُ بقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾[2].

دلالَةُ التَّصريحِ باسمِ نوحٍ ﷺ:

التَّـصـريـح بالقائلِ تَنْويهٌ بمقتضى مقامِ الشَّكْوى

صُرِّحَ باسم نوح ﷺ دون إضمارِهِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ وذلك لبُعْدِ مَعادِ الضَّمير لو تحمَّله الفعلُ بأن يُقال: (وقال ربِّ لا تذر)[3]، ففي الإظهارِ مزيدُ بيانٍ، فضلًا عن أنَّ التَّصريح بالاسم ينوِّه بأهمّيَّةِ مقولِ القولِ، فهو دعاءٌ يبيِّنُ نهايَةَ أمْرِ الدَّعوة إلى التَّوحيد، بالدُّعاء على مُنْكريهِ بالهلاك، فكان ذلك دعاءً بليغًا يبيِّن ما لاقى نوحٌ ﷺ من قومه[4].

دلالَةُ النِّداء بلفظِ ﴿رَّبِّ﴾ معَ حذف أداةِ النِّداء:

استحضارُ القُرْبِ وعُلوِّ المقامِ

جاءَ التَّعبيرُ بأسلوب النِّداء، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ للتَّضرُّع وإظهارِ ما من شأنِهِ قبولُ الدُّعاء، ونداءُ اللهِ تعالى بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ استعطافٌ واستجلابٌ للرَّحمة لتَقَبُّلِ الدَّعوة.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 213، والهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 266.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 213.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 206.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 446.

وحُذِفَ حرفُ النِّداء؛ لإظهارِ القرب الإلهيِّ مِن عباده، وهي مِن سُنَنِ أهلِ القُرْبِ في دُعائِهِم[1].

دلالَةُ أُسلوبِ النَّهي:

عُبِّر بأسلوب النَّهْيِ مرادًا به الدُّعاءُ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ مضمونَ الخِطابِ أمرٌ مطلوبٌ مرغوبٌ فيه، وأنَّه مِن الأهمِّيَّة بحيثُ يُطلَب مِن اللهِ تعالى، أي: لا تَتْرُك منهُم أحدًا بأيِّ وجهٍ مِنَ الوُجوه[2].

جـزاءُ الصّادّين عـــن الـحـــقِّ استئصالُهُم مِنَ الأرضِ

مَعْنى ﴿عَلَى﴾ في القَيْدِ ﴿عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾:

أفاد حرف الجرِّ ﴿عَلَى﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ الاستعلاءَ الحقيقيَّ؛ ليَشْمَلَ كلَّ مَنْ على وجهِ الأرض مِنَ الكافرين.

دِلالَةُ (أل) في لَفْظِ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

في التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ دلالةٌ على أنَّ نوحًا ﷺ طَلَبَ أن تَبْرَأ الأرضُ مِن كلِّ المُشْرِكين في كلِّ مكانٍ مِن مَشارِقِها ومَغارِبِها، وسُهولِها وجِبالِها[3]، فتكون (أل) فيها للاستغراقِ، ويجوز أن يُرادَ بها الأرضُ المعهودةُ بين المُتَكَلِّم والمُخاطَب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [يوسف: 55]، والمرادُ بها: أرضُ مِصْرَ[4]، وحَمْلُها على الاستغراقِ في آية سورة نوحٍ ﷺ أقْوى وأظهَرُ.

جـمـيـعُ بِـقـاعِ الأرضِ كـانَـت مَـحَـلًّا لِـعَـذابِ الاستِئصالِ

دلالَةُ التَّعبيرِ بِشِبْهِ الجُمْلَةِ ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

عُبِّر بِشِبْهِ الجُمْلَة في قوله جلَّ شأنه: ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ للدَّلالة على المقصودِ بالدُّعاء بالهلاكِ والاستئصالِ، فهو مخصَّصٌ

بـيـانُ المَـقْـصـودِ بِدُعاءِ الهَلاكِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 456..
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 456.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 456.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 214.

بالكافرين، شاملٌ لهم جميعًا[1]، فـ ﴿مِنَ﴾ على هذا التَّقرير حرفٌ يُرادُ به البيانُ.

دلالَةُ تعريفِ الكافرينَ وصوغِهِ اسمَ فاعِلٍ:

الـكُـفْـرُ فيهم راسخٌ لا عرضيٌّ، ثابتٌ لا يزولُ

(أل) في ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جنسيَّة للاستغراقِ الحقيقيِّ، فتَشْمَلُ جميعَ الكافرين، وآثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عن الكُفْرِ باسمِ الفاعلِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ للدَّلالة على رُسوخِهم في الكُفْر، وثبوت الصِّفة لَهُم جِبلَّة وطبعًا[2]، وفيه أيضًا الإشارةُ إلى علَّةِ إهْلاكِهم جميعًا، وهو الكُفْرُ باللّٰه تَعالى.

سِرُّ تقديمِ شِبْهَي الجملة ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

تَقديمُ شِبهَي الجملة: ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ على المفعول ﴿دَيَّارًا﴾، في قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ لتأكيدِ عمومِ الاستئصالِ، وشُمولِه كُلَّ الكافرينَ عَلى الأرضِ جميعِها.

تـأكـيـدُ عُـمـومِ الاستِئصالِ

دلالَةُ لَفْظِ ﴿دَيَّارًا﴾ ونُكْتَةُ تنكيرِه:

إفناءُ الكافرين، فلا يَبْقى لَهُمْ أَثَرٌ

معنى (الديّار): مَنْ يحلُّ بدارِ القومِ، وهوَ كنايةٌ عَن الإنسانِ، وقد عبَّر النَّظم الجليلُ بهذا اللَّفظ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، والمَقصودُ: لا تذر أحدًا مِنَ الكافرين، فهو تعبيرٌ يُؤَكِّدُ أنَّ المقصود بالدُّعاء أن يشمَلَ الكافرينَ كُلَّهم، ولفظ (الدّيّار) مشتقٌّ من الدَّوران، أو مِن اسمِ الدّار على وزن فَيْعالٍ، وهو في معنى: واحد، يقال: ما بالدّار ديّار، أي: ما بها أَحَدٌ، أي: أَحَدٌ يدور فيها، وهو اسمٌ مخصوصٌ بالنَّفي، يدلُّ على العموم، فيَشْمَلُ كلَّ إنسانٍ[3]، وهو في الآيةِ مذكورٌ في سياقِ النَّهي الذي أُريدَ به الدُّعاءُ، وذلك شبيهٌ بالنَّفْي، فكان دالًّا على العمومِ.

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 204.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 457.
(3) الواحدي، البسيط: 22/ 273، والبقاعي، ونظم الدرر: 20/ 457، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 213.

بلاغةُ فَصْلِ قوله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ عمّا قبلَهُ:

تعليلُ الاستئصالِ بدليلِ ضررِ أهلِ الضَّلالِ

فُصِلَ قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّه مستأنفٌ استئنافًا تعليليًّا، فقد سيقت الجملةُ لتعليلِ الدُّعاء عَلَيهِم[1]، فهو يَخْشى أن يكونوا سببًا لضلالِ بعضِ أهل الإيمان، كما أنَّهم لَن يَلِدوا إلّا أبناءً يَنْشؤونَ على الكُفْرِ والضَّلال[2].

دلالَةُ التَّوكيدِ بالأداة (إنَّ):

العلمُ الواردُ مِن عـلّام الغيوبِ مؤكَّدٌ محقَّقٌ

أُكِّدت الجملة بـ (إنَّ)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ وذلك لكمالِ اليقينِ بما أخبرهُ تعالى، كما في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36][3]، فعَدَمُ إيمانِهِم محقَّقٌ بالنَّظَر إلى ما أخبَر بهِ اللّهُ تَعالى.

دلالَةُ التَّعبير بأُسْلوبِ الشَّرط:

بقاءُ الكفّارِ استمرارٌ للضَّلالِ

عُبِّر بالشَّرط في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ إضلالَهُم العبادَ متحقَّق على وجهِ اليقينِ عِندَ تحقُّقِ تَرْكِهِم في الدُّنيا أحياءً، فإن تحقَّق بقاؤهم في الحياةِ، ولم يُستأصلوا؛ فإنَّ سَعْيَهُم في إضلالِ العِباد متحقَّق تبعًا لذلك، وهذا يدلُّ على شدَّة إصرارهِم على الكُفر وإضلال النّاس عن الهدى.

دلالَةُ التَّعبير بالفِعْلِ المُضارِع:

آثر النَّظمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالفِعْلِ المضارع ﴿يُضِلُّوا۟﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾؛ للدَّلالة على تجدُّد إضْلالِهِم واستمرارهِم عليهِ.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 337.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 214.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 457.

دلالَةُ جَمْعِ العِبادِ:

الفِتْنَةُ تَطالُ العبادَ كُلَّهم

عُبِّر عن العباد بصيغة الجَمْعِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ كُفْرَهُم سيكون سببًا لضلالِ كثيرٍ مِنَ العباد الذين يؤمنون باللّه تعالى، ممَّن يولَدُ على الفِطْرَةِ السَّليمةِ[1].

بلاغَةُ التَّعبير بالاستثناء المفرَّغ:

نسلُ أهل الضَّلال لا يُرتجى منهُ هُدًى غالبًا

عُبِّر بأسلوبِ الاستثناء المفرَّغ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ للدَّلالة على حَصْرِ تَنْشِئَةِ مواليدِهم على الكُفْر، وهذا يدلُّ على شدَّة تَمَسُّكِهم بضَلالِهم، فهُم يَتَعاهَدون باطِلَهُم، ويَنْقلونَهُ إلى أبنائِهم[2].

دلالَةُ التَّعبيرِ بالمُضارِعِ المنفيِّ ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟﴾:

الكُفْرُ مُسْتَمِرٌّ في ذرّيّة الضّالّين لا يَنْقَطِعُ

آثر النَّظم الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل المضارع المنفيِّ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ للدَّلالة على تجدُّد النَّفي، أي: إنَّهم لا يلدونَ إلّا الأبناءَ الفاسدينَ الكافرين، وذلك للتعبير عن تمسُّكِهم بالكُفْرِ وإصرارهم عَلَيهِ، فهم يورِّثونَهُ أولادَهُم مِن بعدِهم.

دلالَةُ لفظِ (فاجِر) مادَّةً وصيغةً:

المَيْلُ عن الحقِّ ميراثٌ يتناقَلُهُ الضّالّون

عُبِّر عنِ الفُجورِ بصيغة اسم الفاعل، في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ لدلالة الفُجورِ على الفِسْقِ والمَيلِ عن الحقِّ[3]، وقد عُبِّر بذلك للدَّلالة على أنَّهم شديدو الفَسادِ[4]، وصوغُهُ اسمَ فاعِلٍ مُشْعِرٌ برسوخِهم في الفجور، وثبوتِ الصِّفة لَهُم جِبلَّةً وطبيعةً.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بلَفْظِ (كفّار) مادَّةً وصيغَةً:

الكُفْرُ الموروثُ غليظٌ شديدٌ

عُبِّر عن الكُفْرِ بصيغَةِ المُبالغَةِ على وزن (فعّال)، في قوله جلَّ شأنه:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 457.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 214.
(3) الجوهري، الصحاح: (فجر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 214.

﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ للدَّلالة على المبالغة في صفةِ الكفر، أي: شَديدو السَّتْر لِما يَجِب إظهارهُ مِن آياتِ اللهِ تَعالى[1]، فهُم يَجْمَعون سوءَ الفعل مع سوءِ الاعتقادِ، فكان كُفْرُهم في الغاية القُصْوى من الضَّلال[2].

نُكْتَةُ تقديم وصفِ الفجورِ على وصفِ الكُفْرِ:

الفجورُ بريدُ الكُفْرِ وطريقُهُ

قُدِّم وصفُ الفجورِ على وصفِ الكُفْرِ، في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ لأنَّ الفجورَ بريدُ الكُفْرِ والموصِلُ إليه، فإنَّ العبدَ إذا أمْعَنَ في الفُجورِ؛ أوشكَ أن يقودَهُ ذلك إلى الكُفْرِ والتَّكذيبِ.

دلالَةُ النِّداءِ بلَفْظِ ﴿رَّبِّ﴾:

طلبُ الرَّحمة لأهل الإيمان مِن الرَّبِّ سابِق الإحسان

عُبِّر بأسلوبِ النِّداء، في قوله جلَّ شأنه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ للدَّلالة على التَّضرُّع وطلَبِ المَغْفِرَة، والنِّداء بعنوانِ الرُّبوبيَّة أدعى لاستجلابِ الرَّحمة، بوَصْفِه ذِكْرًا لسابِقِ إحْسانِه تعالى؛ ليكون سببًا لاستجابةِ الدَّعوة، أي: أيُّها المُحْسِنُ إليَّ بوافِرِ النِّعَمِ أتضرَّعُ إليكَ؛ لتَغْفِرَ لي[3].

دلالَةُ حَذْفِ حَرفِ النِّداء:

استحضارُ القُرْبِ وعُلوِّ المقام

حُذِفَ حرفُ النِّداء في قوله جلَّ شأنه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، فلم يَرِد النَّظمُ القرآنيُّ ههنا: (يا ربِّ)؛ وذلك لعِلْمِ نوحٍ ﷺ بِقُرْبِ الله تعالى مِنْهُ[4]، فحذفَ حرفَ النِّداءِ على عادةِ أهل القُرْبِ في الدُّعاءِ.

دلالَةُ الدُّعاءِ بالمَغْفِرَةِ:

سَتْرُ المعاصي ومَحْوُها يَطْوي صفحاتِ الغضَبِ

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالمَغْفِرَةِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ للدَّلالة على

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 458.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 214.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 458.
(4) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 183.

طلَبِ السَّتْرِ والعَفْوِ عمّا يُستغفَر منه، فإنَّه لمّا دعا على الكفّارِ طلَبَ المغفرةَ؛ لأنَّه قدَّر أنَّ ما صدَرَ مِنْهُ كان تركًا للأفضل، وهو دوامُ الصَّبر عليهم، والدَّعوة لهم بالهداية[1].

سِرُّ التَّرتيبِ في الدُّعاءِ:

البَدْءُ بالدُّعاء بالنَّفس، ثُمَّ الأحقُّ، ثُمَّ التَّعميم

رتَّب نوحٌ ﷺ المذكورين في دُعائِهِ بدءًا بنفسِهِ فوالِدَيْهِ فالمؤمنينَ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ على وفْقِ الأحقِّ، فقدَّم نفسَه؛ لأنَّه رَأْسُ الأمَّةِ، وهو الدّاعي لهم إلى الإيمانِ والمغفرة، ثمَّ أعقبَها بذِكْرِ والديه، وهُم أحقُّ النّاس بدعائه، ثمَّ عمَّ جميع أهل الإيمان[2].

دلالَةُ ذِكْرِ الوالِدَيْنِ مُباشرَةً بعدَ نَفْسِه:

مِن كمالِ الإيمانِ الإحسانُ إلى الوالِدَيْنِ

ذَكَرَ نوحٌ ﷺ والدَيْهِ عَقِبَ ذِكْرِ نفسِه، في قوله جلَّ شأنه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾؛ لأنَّه رتَّب المذكورين على وجه الأحقّيَّة، فقدَّم الأحقَّ، وهو النَّفس، وأتبعَهُ بأحقِّ النّاسِ بالصُّحبة والدُّعاء، وهُما الوالِدانِ[3]، فذَكَرَهُم قبلَ غيرِهِم؛ حفظًا لحَقِّهم، وتعظيمًا لمَقامِهِم.

بلاغَةُ الكِنايَةِ في الدُّعاء لمَنْ دخَلَ البيتَ:

لا يدخُلُ البيتَ على التَّكرار إلّا أهلُ القُرْبِ والسُّكْنى

كنّى النَّظمُ الجليلُ بقوله جلَّ شأنه: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾، عن السّاكنين معَهُ، فالمرادُ به دخولٌ مخصوصٌ، وهو الدُّخولُ المتكرِّر الملازِمُ، فالمراد: أهلُ بيتِهِ السّاكِنين معَهُ، وهُم أولادُهُ وبَنوهُم والمؤمناتُ مِن أزواجِهِم، ومنهُ سُمّيتْ بِطانَةُ المَرْءِ: دَخيلَتَه[4].

دِلالَةُ التَّعبيرِ بالمُؤْمِنينَ مادَّةً وصيغَةً:

الدُّعاء واجِبٌ لكُلِّ ذي إيمانٍ راسِخٍ

(أل) في (المؤمنين والمؤمنات) جنسيَّة للاستغراقِ الحقيقيِّ، وقد أفادَ قولُهُ جلَّ شأنُه: ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ العمومَ؛ ليَشْمَلَ

(1) الخازن، لباب التأويل: 4/ 347.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 660، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 458.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 459.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 215.

دُعاؤُهُ كلَّ مَن آمنَ باللّه وبِرُسُلِه[1]، وقد جاءَ التَّعبيرُ بصيغَةِ اسمِ الفاعلِ للدَّلالة على العَراقَةِ في هذا الوَصْفِ[2].

سِرُّ إعادةِ حرْفِ اللّام:

شـدَّةُ العِنايَةِ بأهْلِ الإيمانِ

كَرَّر النَّظم الجليلُ حرفَ اللّام، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾؛ وذلك للاهتمامِ بكُلٍّ واحِدٍ مِن المذكورين، فهو تأكيدٌ عَلى شُمولِهِم بالمَغْفِرَةِ على وجهِ الانفراد[3].

التَّعبيرُ بالظُّلْمِ مادَّةً وصيغَةً:

ظُـلـمٌ عـريـقٌ لا يَسْتَحِقُّ سِوى الهلاكِ

عبَّر النَّظم القرآنيُّ بالظُّلم، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾؛ للدَّلالة على الشِّرْكِ والكُفْرِ؛ لأنَّ ذلك مِن وضْعِ الشَّيء في غيرِ مكانِهِ، والتَّعبيرُ به دون لفظِ الكافرينَ أو المشركين؛ يُرادُ به التَّنبيهُ على أنَّ الدُّعاء عليهم بذلك كان لأجْلِ ظُلْمِهِم[4]، وقد صيغَ على زِنَةِ اسمِ الفاعلِ؛ للدَّلالة على عَراقَتِهِم في الظُّلم وثبوتِ هذا الوَصْفِ لَهُم[5].

دلالَةُ التَّعبيرِ بالتَّبار:

تـدميرُ الظّالمين وتَـفْـتـيـتُـهُـم واستِئصالُهُم

جاء التَّعبيرُ بلفظِ التَّبارِ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾، وهو مأخوذ من التِّبر، وهو فتاتُ الذَّهبِ والفضَّة قبل صَوْغِهما[6]؛ للتَّعبير عن الدُّعاء عليهم بالهلاك والتَّدمير المفتِّتَيْن، فكان عاقبةُ أمرِهِم الغرقَ والزَّوالَ واستِئصالَهُم وعِقابَهُم[7]، "فهو تخصيصٌ للظّالمين مِن قومِه بسُؤال استِئصالِهِم بعدَ أن شَمِلَهُم وغيرَهم بعمومِ قوله: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛

(1) الواحدي، البسيط: 22/ 275.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 459.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 459.
(4) القونوي، حاشية القونوي: 19/ 338.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 459.
(6) ابن منظور، لسان العرب: (تبر).
(7) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 459، والقنّوجي، فتح البيان: 14/ 345.

حرصًا على سلامةِ المُجْتَمَع الإنسانيِّ مِن شوائِبِ المَفاسِد، وتطهيره مِن العناصِر الخبيثَةِ"[1].

بلاغَةُ الاستثناءِ في الآيَةِ:

دعـــوةٌ أخـــيرَةٌ عَـلى الـظّـالمين؛ لئلّا يَعودوا مِن جديدٍ

عبَّر النَّظم الجليلُ بالاستثناءِ المُفرَّغ، في قولهِ جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾؛ للدَّلالة على طلَبِ زيادَتهم هلاكًا وتدميرًا، "أي: لا تَزِد المتَّصفين بالظُّلم إلّا هلاكًا وخُسْرانًا ودَمارًا، فأُهْلِكوا، وغَرِقَ معَهُم صِبْيانُهُم أيضًا"[2].

في زيـادَةِ الأولادِ قـوَّةٌ على التَّمرُّد والإفسادِ

ولمّا كانت الزّيادةُ مِن الأموال والأولاد والأرزاق ممّا يَستَقوونَ بها، ويُلحِقون الأذى بالمؤمنين؛ كان الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ منقطعًا، وهو من تأكيدِ الشَّيء بما يُشْبِهُ ضدَّه، كقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ لأنَّ التَّبار ليسَ مِن الزّيادة المدعوِّ بنَفْيِها، فإنَّه أرادَ: لا تَزِدْهُم مِنَ الأموال والأولاد؛ لِما فيها مِن قوَّةٍ لَهُم على أذى المؤمنين، وهذا كقول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس: 88][3].

بلاغَةُ الاحْتِباكِ في الآيَةِ:

حَـــذْفُ مـا دلَّ الـسّـيـاق عليه لـلاقـتـصـاد في اللَّفظ

هذه الآيةُ التي اختُتِمَت بها السّورة "من الاحتباكِ؛ لكونِ إثباتِ الدُّعاء المقتضي لأصلِ إكرامِ المُؤمنين أوَّلًا، مرشدًا إلى حذفِ الدُّعاء المُفهم لأصل إهانة الكافرين ثانيًا، وإثبات الدُّعاء بزيادَةِ التَّبار ثانيًا، مُفْهِم لحذفِ الدُّعاء الموجب لزيادَةِ المَفاز أوَّلًا، وهذا الآخر المُفْصِح بالتَّبار هو ما أرشد إليه الابتداءُ بالإنذار، فقد انطبقَ الآخِرُ على الأوَّل على أصرحِ وجْهٍ وأكمَل، وأحسن حالٍ وأجمَلِ منالٍ"[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 215.
(2) القنّوجي، فتح البيان: 14/ 345.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 215.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 460.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفاجر والفاسق:

الفجورُ: أصله التَّفتُّح في الشَّيء، واستُعمِلَ للانبعاثِ والتَّفتُّح في المعاصي، وسُمّي كلُّ مائلٍ عن الحقِّ: فاجرًا[1]، والفجورُ: شقُّ سَتْرِ الدّيانة والحياء، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧﴾ [المطففين: 7][2]، والمراد به في الآية الكريمة: المارق ممّا يجب الاعتصام به[3]، أمّا الفسقُ؛ فهو الخروج عن الشَّرع، وأصله من قولهم: فَسَقَ الرُّطَبُ؛ إذا خرج عن قِشْرِه، وهو يقع بالقليلِ مِنَ الذُّنوب وبالكثير، وأكثر ما يُطلَقُ اسمُ الفاسِقِ على من التزمَ حُكْمَ الشَّرع، وأقرَّ به، ثمَّ أخلَّ بجميع أحكامِه أو ببعضِها[4]، فالفجورُ: أشدُّ من الفسق؛ إذ هو الانبعاثُ في المعاصي والتَّفتُّح فيها والميلُ عن الحقِّ، أمّا الفِسْقُ؛ فقد يقع بالقليل من المعاصي، فيخرج عن حُكْمِ الشَّرع، وقد عُبِّر في الآية بالفجورِ؛ لميلِ قومِ نوحٍ عليه السلام عن الحقِّ وانبعاثهم في المعاصي والكُفْرِ.

الإسراف في المعاصي والميل عن الحقِّ فجورٌ، والفسقُ عملُ المعاصي صغيرِها وكبيرِها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فجر).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (فجر).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 458.
(4) الراغب، المفردات: (فسق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"